مادة الفكر الجغرافي \_ أ.م.د. نجلة عجيل محمد
الفكر الحغرافي في الحضارة اليونانية
اليونانيون من أقدم الأقوام الكثيرة التي تعرف بعائلة اللغة /اللغات ((الآرية )) أو اللغات الهندية الأوربية التي تتكلم بهذه العائلة اللغوية ليست من جنس ((عرق )) ومناطق المراعي في جنوب روسيا الى بحر قزوين، ويرجع البعض ان يكون وادي الدانوب الأعلى هو مهدهم الأصلي ويقدر الزمن الذي بدأت فيه فروع من هذه الاقوام تهاجر من مهدما الأصلي بالإلف الثاني قبل الميلاد .

للفائدة: (((الآرية هي أيديولوجيا التفوق العرقي التي تنظر إلى العرق الآري المفترض باعتباره مجموعة أثنية متميزة ومتفوقة لها الحق في حكم بقية البشرية)))

ويعود سبب هجرتهم الى فترات الجفاف والقحط في موطنهم الأصلي، اضافة الى كثره الخيرات في مراكز الحضارة القديمة التي اتجهوا اليها، ومنها حضارة بحر ايجة التي بدأت منذ أوائل الألف الثالث قبل الميلاد .
والتصاق اليونانيين بأطراف الحضارة الأيجية ساعدهم على اقتباس أسس هذه الحضارة وتطويراها ووضعها في قلب جديد يجمع بين الحضارة الايجية وروح القبائل اليونانية والتي اختلطت معها مجموعات من النورديين ((وهم اصحاب البشرة البيضاء والشعر الاشقر والاحمر وهم من الدول الاسكندنافية تحديدا)) وعناصر البحر المتوسط وبعض القبائل الاخرى نزحت الى ايجه وجميع هذه القبائل عرفت بالقبائل الأغريقية التي استقرت في شبه الجزيرة اليونانية.

وكان من نتيجة عيشه هذه القبائل في موطنها الجديد واقترابها من الحضارة الايجيه ان بدأت تطور وتكيف نفسها للبيئة الجديدة، والتي كانت تتمثل في الجزر العديدة اضافه الى طبيعة المناخ المتمثل بمناخ البحر المتوسط والذي يختلف عن مناخ بيئتها الاولى، كل ذلك عمل على طبع العالم اليوناني بطابع معين يقوم على اساس التوافق بين امزجتهم وطبيعة البيئة التي أتوا اليها واستخدموها استخداما سلميا، فبرزوا في عملهم وكانوا لهم ثقافة طبعت بطبعهم، وتعلم اليونانيون فنون البحار بعد ان غزوا جزيرة كريت واخضعوها لسيطرتهم، وأصبحوا قوة مؤثره في المنطقة، وفعلا بسطوا نفوذهم على بحر أيجه ووصلوا الى اسيا الصغرى في اول مرحلة استعمارية لهم .
ومع ان الحضارة اليونانية تمثل طفرة علمية، فأن هنالك حقيقة هامة جديرة بالاعتبار وينبغي ان نضعها نصب اعيننا وهي انها سبقت وقبل الاف السنين بجهود علمية اصلية في كل من مصر والعراق وغيرها من اقطار الشرق القديم، ومعنى ذلك ان المعرفة اليونانية كانت عملية احياء قبل ان تكون عملية اختراع.

 والفكر الجغرافي بصورة عامة قد حُضي بعناية خاصة ولاسيما في مظهره الفلكي الخلاب الذي استطاع ان يجلب انتباه فلاسفة الاغريق وحكمائهم ، ويمكن القول ان الجغرافية قد احزرت على ايدي الاغريق تقدما كبيرا الى حد بعيد ، فقد بدأت الجغرافية لديهم كتأملات فلسفية ضلت طويلا مرتبطة بهذا الاطار التأملي الفلسفي غير قادرة على الفكاك منه والانطلاق، الى ان رسخت الحقيقة المتعلقة كروية الارض كما بدأت نظرية المناطق تدخل نطاق الفكر وحينئذ استقر للجغرافية اساس ثابت شيدوا عليه صرح تقدمها وبذلوا الجهود لتطويرها، وفي حالة تطور مفهوم الجغرافية وفرعها فأن كافة الفروع الرئيسية للجغرافية قد نشأت وتأسست على ايديهم.

 وفي مجال بحث الفكر الجغرافي اليوناني تبرز فروع الجغرافية كمعرفة جديدة مجال الجغرافية وهذا شيء جديد بالنسبة للفكر الجغرافي العالمي كان ظهوره في فكرة الحضارات القديمة محدودا ولكن لابد من ذكر الحقيقة انه يجب ان لا ننسى العامل الزمني، فقد سبقت الحضارات القديمة الحضارة اليونانية وفكرها الجغرافي بأكثر من الفي سنة ، وأهم الجوانب التي اعتمدها الفكر الجغرافي اليوناني هي :

1. نشأة الكون :

لم يضف اليونانيون شيئا يذكر الى ما جاءت به الحضارة العراقية والحضارة المصرية في مجال خلق الارض ونشأت الكون، واذا تذكرنا قصة الخليقة العراقية وقصة خلق الارض في الحضارة المصرية نجد ان ما جاء به طاليس وأعتبره نظرية يونانية ما هو الا ترديد لما اكدت عليه الحضارتان العراقية والمصرية .
واذا تتبعنا حياة طاليس نفسه نجده متأثراً وناقلا للفكر المصري والعراقي فقد عاش طاليس في مدينة ميلطس المصرية مع جماعة من المفكرين والذي شغل تفكيره بالبحث في المادة وجوهر الاشياء، وقد جهد هؤلاء المفكرون في تفريد مادة عامة وتجريدها من بين الموجودات وجعلها المادة الاولى في تركيب الاشياء وفي تفسير اختلافاتها وتغيراتها , فرأى طاليس في عنصر الماء المادة الاولى.
وقد عاش طاليس في الفترة ما بين 624- 554 ق.م ، ويقول هيرودوت المؤرخ اليوناني ان طاليس من اصل فينيقي وهذا يعني انه تشبع بالمعرفة التي تعود جذورها الى الحضارات القديمة العراقية والمصرية.

سافر طاليس الى مصر ودرس الفلك هناك وتعلم دورة الكسوف المتعاقبة، وبذلك فهو أول الفلكيين اليونانيين، ويرى طاليس ان الارض استمرت تطفو فوق سطح الماء حتى تمكنت بتلك الحركة من الانفلات من غطاء السماء فانفصلت .
**2- شكل الأرض:**
كانت الحضارة العراقية والحضارة المصرية قد حددتا فكرة عن شكل الارض وتكوينها وعندما اصبحت قياده الفكر الجغرافي بيد اليونان حاول الفلاسفة اليونانيون تطوير الآراء السابقة وفلسفتها تبعا لطبيعة عصرهم الذي سادت فيه فلسفة العلوم،
وقد ناقش العلماء اليونانيون مسألة شكل الارض وحركتها وكان اتباع فيثاغورس من اوائل المساهمين في مناقشة كروية الارض وقد اعتمدوا واستندوا على المنطق اكثر من استنادهم على الادلة الخاصة بكروية الارض وقد عدوا ذلك من الامور الخارقة،
وقد جاءت محاولة اثبات الارض من اثبات العكس اي اثبات انها ليست مسطحه وهذا ما اكد عليه اصحاب فيثاغورس من كونها ليست مسطحه، وبخصوص الاعتقاد الذي ساد الحضارات القديمة من ان الارض تعتبر مركز الكون فقد عارضه الفيثاغورسيون معتمدين على مصدر النور باعتبار ان مركز الكون لا بد ان يكون مضيئا، وبما ان الارض مظلمة فلا يمكن ان يكون مركز الكون مظلما، كما انه يجب ان يكون ساكنا واعتقدوا بوجود مصدر للضوء والحرارة وموقعة وسط الكون والاجرام السماوية بما فيها الشمس تدور حول مصدر الحرارة والضوء،وكذلك الارض تدور حول النار المركزية،
وقد اشار الى حركة الارض العالم هيكيتاس الذي سبق غيره في الإشارة الى دوران الارض وثبوت السماء وما فيها من نجوم فقد اعتقد بأن الارض تدور بينما السماء ذات النجوم مستقرة ثابته لا تتحرك .
وقد أشار اريستاركوس الى ثبوت النجوم وسكون الشمس وأن الارض هي التي تتحرك حول الشمس في محيط دائرة تحتل الشمس مركزها إضافة إلى إشارته الى محور الأرض.
وبجانب العلماء فقد اهتم الفلاسفة بموضوع كرويه الأرض فقد أيدها الفيلسوف سقراط وقال بان الارض ذات شكل كروي وانها معلقه في وسط الكون الذي هو كروي أيضا كما اعتقد بأنها ذات حجم بالغ الضخامة.
وجاء بعده افلاطون فأيد كرويه الارض وعدها مركزا للكون، مخالفا بذلك راي الفيثاغورسيين، وأشار الى انها ثابتة ومستقرة، واعتقد ايضا بانها جسم كبير جدا ويشتمل على ثلاث أجزاء وان البشر يسكنون القسم الوسط .
والفيلسوف الثالث الذي أيد كرويه الارض أرسطو والذي وضع الادلة التي تؤيد كرويتها ومنها .:
 \*ظهور ظل الارض المستدير على سطح القمر اثناء الخسوف الجزئي .
 \*نجاح قياس محيط الارض من قبل الرياضيين وهذا مؤشر صحة الكروية .
 \* تباين احتفاء النجوم باختلاف دائرة العرض كل ما سار الانسان شمالا وجنوبا .
واذا حللنا الآراء السابقة بكروية الارض وحركتها نجد ان العلماء اليونانيين متفقين على كروية الارض الا انهم اختلفوا حول حركة الارض ومركزها بالنسبة للكون.

**محيط الارض**:
نتيجة لتأكيد كروية الارض من قبل العلماء الاغريق فقد برزت امامهم امكانية قياس محيط هذه الكرة، ومن اوائل من قام بهذه المحاولة يودوكسوس ( النصف الاول من القرن الرابع قبل الميلاد ) الذي قدره بحوالي 44000 ميل، ولكن المحاولة القريبة الى الواقع تلك التي قام بها اراتوسثين والذي عاش ما بين 276- 192 ق.م ويعد من أعظم علماء الاسكندرية، كان في الاصل رياضيا بارزا ولكنه كرس جانبا مهما من جهوده للجغرافية، حيث قام بوضع مصنف جغرافية تناول فيه تطور الفكرة الجغرافية، كما اشار الى طريقة قياس محيط الكرة الارضية، وقام بقياس محيط الارض وقطرها مستخدما نظام المثلثات، قدرة محيط الكرة الارضية ( 26 660) ميلا، وقد اجرى تجربته على اساس ملاحظة فرق درجة سقوط اشعة الشمس بين مدينتي اسوان والاسكندرية .

الخرائط اليونانية :
المتفق عليه ان الخرائط العراقية تعد من اقدم الخرائط التي ساهمت في بناء الفكر الجغرافي القديم، حيث وضعت الخطوط الاساسية لعلم الخرائط فقد اتخذوا من رسمهم لتلك الخرائط معالم اساسية تتمثل في مقياس الرسم واتجاه الخرائط والمظاهر الطبوغرافية.
اما بالنسبة لليونانيين القدماء فمن الثابت انهم لم يبتكروا فكرة الخارطة بل اقتبسوها من البابليين ربما من المصريين أيضا، ولذلك كانت بدايتهم للخرائط تكرارا لما ورثوها عن البابليين.

 ومن اقدم الخرائط اليونانية الخارطة التي قام برسمها مندر ( 611-547 ق.م )، و هو من مواليد أسيا الصغرى ومن مواليد مالطة ويعد اول إغريقي يقوم بعمل خارطة للعالم كما قام برسم خارطة أرضية للملاحين ومن أرائه :

1. اكتشاف تقوس الأرض.
2. انها قائمة في الهواء ومن غير ان تعتمد على المياه او على دعامة صلبة.

ثم جاءت خارطة هيكتيوس (550-485 ق.م) والذي يعد أول من جعل الخارطة جزء من النصف الجغرافي، وهو تقليد سار عليه الجغرافيون اليونانيون من بعد وصورة الأرض على هيئة قرص مستدير يحيط به الاقيانوس، واحتل البحر المتوسط الاسود وبحر الخزر معظم مساحة الخارطة.

اضافة الى عمل الخارطة فقد قام هيكتيوس بجمع كم هائل من المعلومات الجغرافية طبيعية وبشرية عن طريق التجار اليونانيين الذين يجوبون البحار والمناطق المحيطة بالبحر المتوسط . وقام بتبويب تلك المعلومات ثم قام بوضع اول كتاب جغرافي معروف وعنوانه (الفترات الزمنية . (

خارطة هيرودوت:
يعد هيرودوت ( 484-425 ق.م ) ابا للتاريخ ، وهو من اعظم المؤرخين اليونانيين، وقد قدم للجغرافية الشي الكثير . وفي مقدمة ذلك خارطته المشهورة . ولد في الاناضول وزار مصر وساحل سورية والعراق، كما رحل الى اجزاء اخرى من اسيا .

امتازت كتاباته بالشمولية اما خارطته فتعد من الخرائط اليونانية المبتكرة، وقد رسمت على اسس غير رياضية قبل ان يتوصل اليونانيون الى معرفة خطوط الطول ودوائر العرض، فجاءت خارطته مخالفة لخارطة هيكتيوس والتي ظهرت فيها الارض مسطحة دائرية لان اراء هيرودوت اعتقد بان:

1. العالم اطول في امتداده بين الشرق والغرب منه بين الشمال والجنوب .
2. كان يسخر من الذين يرسمون الارض مستديرة ويجعلونها مُحاطة بالمياه.
3. اتصال البحر الاحمر بالمحيط الهندي.
4. ارتباط البحر المتوسط ببحر خارجي.
5. اشارت خارطته بتقسيم المناطق المحيطة بالبحر المتوسط الى ثلاثة اقسام اوربا . اسيا . افريقيا.
6. ومن الملاحظات حول خارطة هيرودوت ان بعض الاسماء فيها كانت غير دقيقة، فقد وضعت بعض اسماء الجبال اسماء للمدن، اضافةً الى اشارته غير الدقيقة الى منابع بعض الانهار، فقد ذكر ان الدانوب ينبع من جبال البرانيس، وان النيل ينبع من جبال اطلس، وان نهر النيجر يحتل جزء من اعالي نهر النيل.

فروع الجغرافية وتبوبيها:
قسم اليونانيون الجغرافية الى قسمين رئيسيين هما:

1. الجغرافية الفلكية :وتتركز حول دراسة الكرة الارضية وابعادها وعلاقتها بالمجموعة الشمسية وخطوط الطول ودوائر العرض وحركة الارض وكل ما يرتبط بالسماء.
2. الجغرافية الوصفية الاقليمية: وتشمل وصف البلدان والاقاليم مركزه على البيئة اليونانية (الاغريقية) في الدرجة الاولى ، وقد اضيفت لهذه الفروع البدايات الاولى للجغرافية الرياضية والنباتية .

وضمن الاطار الاول الذي تمثل بالجغرافية الفلكية فقد غلبت عليها الجوانب الطبيعية، فأصبحت هنالك جغرافية اشبه ما تكون بالمقدمة بالجغرافية الطبيعية، تناولت دراسة الفلك وقواعد الجغرافية العامة ، من خلال بيان اصل الارض وشكلها وحركتها. وفي مجال قواعد الجغرافية الطبيعية العامة والتي تقع الان ضمن اطار الجغرافية المناخية والجيومرفولوجية والمتمثلة في المناخ والتضاريس والانهار والزلازل والبراكين.
ويأتي في مقدمة الامور الطبيعية التي اكد عليها الفكر اليوناني المناخ وما يرتبط به من اوائل الامور التي برزت في هذا المجال تقسيم العلم المعروف الى مناطق مناخية ثم الدراسات التي تناولت تأثير المناخ على السكان، وقد اكد العلماء اليونان على ان الأحوال السكانية ما هي الا انعكاس للأحوال المناخية، فطباع البشر وعاداتهم وتقاليدهم متأثرة بذلك.
وقد أشار ارسطو في كتابة السياسة الى ما يأتي:

1. ان سكان المنطقة الباردة احرار وشجعان.
2. سكان المنطقة الجنوبية الحارة أذكياء ومهره لكنهم خاملون.
3. اما المنطقة الوسطى وهي المنطقة المعتدلة التي تجمع بين الصفات المنطقتين فسكانها هم الذين يقودون الحضارة لأنهم يتقبلون التحضر ومنهم اليونانيون.

ومن اهم الدراسات التي تناولت الأقاليم المناخية ما قام به (هيبارخوس ) 190-125 ق.م بإدخال بعض التحسينات على الاسطرلاب، وقد استفاد من ذلك في تحديد دوائر العرض ومتابعة اختلاف طول النهار في مناطق مختلفة فقد أدى به الأمر ان يجد مناطق عديدة مختلفة عرفت باسم Climate او المناخ.

للفائدة : الاسطرلاب: هو آلة فلكية قديمة وأطلق عليه العرب ذات الصفائح. وهو نموذج ثنائي البعد للقبة السماوية، وهو يظهر كيف تبدو السماء في مكان محدد عند وقت محدد. وقد رسمت السماء على وجه الأسطرلاب بحيث يسهل إيجاد المواضع السماوية عليه. بعض الأسطرلابات صغيرة الحجم وسهلة الحمل، وبعضها ضخم يصل قطر بعضها إلى عدة أمتار.

وقد كانت الأسطرلابات حواسيباً فلكية في وقتها، فقد كانت تحل المسائل المتعلقة بأماكن الأجرام السماوية، مثل الشمس والنجوم، والوقت أيضًا. وقد كانت ساعات جيب لعلماء الفلك في القرون الوسطى. وقد تمكنوا أيضا من قياس ارتفاع الشمس في السماء، وهذا مكنهم من تقدير الوقت في النهار أو الليل، كما يمكنهم من تحديد وقت بزوغ الشمس أو تكبد النجوم. وقد طبع على ظهر الأسطرلاب جداولاً مبتكرة مكنتهم من هذه الحسابات. ويمكن لهذه الجداول أن تحتوي على معلومات عن منحنيات لتحويل الوقت، ومقومة لتحويل اليوم في الشهر إلى مكان للشمس في دائرة البروج، ومقاييس مثلثية وتدريجيات لـ 360 درجة.

 

أسطرلاب عربي من عام 1208م أسطرلاب من القرن الثاني عشر من صنع

 یعقوب کوشان فی تبريز.

 اما الجغرافية الوصفية والتي تمثل الجانب الثاني من الفكر الجغرافي اليوناني والتي يمكن تعريفها بإطار الأفق الجغرافي فقد كانت تمثل المعنى الحقيقي لمفهوم الجغرافية وفي مجال الوصف ساهم مع الجغرافيين العديد من غير الجغرافيين في إغناء هذا الجانب وكانت حصيلتهم اتساع الأفق الجغرافي اليوناني . وقد انحصرت أراءهم في الأمور الاتية :

1. الاعتقاد بان جزء صغير من الأرض مسكون بالبشر ويتمثل في المنطقة الوسطى والمعتدلة.
2. اعتقدوا بأن المنطقة الباردة والحارة غير صالحة للسكن.
3. اعتقدوا بأن نصف الكرة الجنوبي غير مأهول بالسكان .

الدراسات السكانية :-
يمكن ان نوجز التوجهات اليونانية الخاصة للدراسات السكانية للنقاط الآتية :

1. احتلت مسألة السكان دوراً مهما من حيث أنها برزت في إشعارهم وأدبهم.
2. اشار الفلاسفة اليونانيون إلى خطر زيادة السكان وعدوها سبب الحروب ظهرت لديهم ظاهرة قتل الأطفال وأشبه ما تكون بالوأد.
3. ان ابرز الافكار السكانية اليونانية هي مسألة الحجم الامثل للسكان وتم التأكيد على ذلك في جمهورية افلاطون المدينة الفاضلة واعتقد افلاطون ان الحجم الامثل للمدينة الاغريقية هو ( 5040 ) نسمة وهذا العدد كاف للسلم والحرب.
4. اعتقد أفلاطون ان الزيادة ان لم يسيطر عليها القوانين وصفية غير الحرب تقضي على كل نظام أساسه المساواة في الملكية.
5. اعتقد ارسطو ان النتيجة الحتمية لزيادة عدد السكان انتشار الفقر لان الموارد الاقتصادية لا يمكن زيادتها بنفس السرعة التي ينمو بها السكان ويؤدي انتشار الفقر الى صعوبة ادارة الدولة.
6. لقد امن اليونانيون بسياسة الحد من المواليد عن طريق الاجهاض الصناعي أو تعريض الأطفال إلى الطبيعة والظروف الصعبة ليموت الضعفاء ويبقى الأقوياء منهم.
7. امنوا بالهجرة والاستعمار في حالة عدم السيطرة على الزيادة السكانية .
8. وضعوا بعض القوانين لتشجيع الزواج في فترات التي يتناقص فيها عدد السكان بسبب الحروب .